التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري و ردود فعل سكان الهوقار 1916

أ. أحمد مريوش
جامعة الجزائر

تعد المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية بصفة عامة و منطقة الهوقار بصفة خاصة إحدى الحلقات المضيئة في تاريخ الجزائر المعاصر،و لو أنها ما تزال بعد في أمس الحاجة إلى الدراسة و الإثراء ، وذلك لما يكتنفها من التشويه أحيانا ومن الغموض و اللبس حول دوافع و أهداف المقاومة الشعبية أحيانا أخرى ، ومن ثم فقد حان الأوان أكثر من أي وقت مضى لتسليط الضوء على المنطقة الصحراوية و الكشف عن بنيتها الاجتماعية والفكرية و الدينية و التي تجسدت في المقاومة الشعبية، وكذا الكشف عن مزايا سكان المنطقة ،واستخلاص بعض الميزات لما عرفت به شعوب الصحراء الجزائرية من مسيرة الاستماتة والوقوف في وجه المحتل الفرنسي .

وبرغم بعض الدراسات المستفيضة التي تناولت موضوع التوسع الفرنسي في الجنوب وردود الفعل الجزائرية ،كالتي قام بها الدكتور يحيى بوعزيز، و سعد الله، وإسماعيل العربي، و غيرهم ، إلا أن ذلك غير كاف من الوجهة التاريخية مقارنة بثقل التضحيات التي قدمها سكان الصحراء لتصديهم ومحاربتهم للتوسع الاستيطاني الفرنسي في الجنوب.

ولعل الدارس للمقاومة الشعبية في الجزائر لا يمكنه أن يبعد عنها الطابع الإقليمي، ولو أن ذلك لم تغير من بعدها الوطني ،و تقاربها من بعضها البعض في العديد من المرات، ولذلك فإن أحداث المقاومة الشعبية التي عايشتها منطقة الهقار مرتبطة أساسا بالأحداث التي وقعت بثلاث مناطق أساسية، هي منطقة الأيير بالنيجر ،ومنطقة أزفو بجانيت، ومنطقة فزان، وغات بالصحراء الليبية، هذا فضلا عن أحداث منطقة تيدكالت بعين صالح . وللوقوف مليا عند دراسة هذا الموضوع فإننا سوف نعالجه من خلال دراستنا للمحاور التالية :

أولا:دوافع وأسباب اهتمام الفرنسيين بالجنوب الجزائري .

ثانيا:مراحل التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية .

ثالثا :حملة كوتنيس واحتلال منطقة الهوقار .

رابعا:استقدام الأب دوفوكو واستقراره بالهوقار .

خامسا: ثورة الهقار 1916 ونتائجها .

أولا:أسباب اهتمام الفرنسيين بالجنوب الجزائري :

إ ن الدارس للعلاقات الدولية في أوروبا القرن الثامن عشر، يجد أن هناك قوى أساسية تريد الهيمنة وأن تسطر خريطة سياسية جديدة لتأمين مصالحها المستقبلية في المنطقة، و من جملة هذه العوامل نذكر ما يلي :

1-الجانب الإستراتيجي : لقد احتدم الصراع بين القوى العظمى لوضع خطط مستقبلها ومن بين الأطراف الفاعلة نجد بريطانيا وفرنسا ،هذه الأخيرة التي ظلت المنافس العنيد لنشاط الإنجليز وتوسعه الاستعماري خارج أوروبا و البحث عن المجال الحيوي لها وبالخصوص في قارتي إفريقيا و أسيا،كل ذلك جر بالفرنسيين هم أيضا إلى أسلوب الاستكشاف و المغامرة و البحث و النشاط ،لخدمة منظومتهم الاستعمارية ،وقد تجسد ذلك خصوصا بعد عملية إنجاح احتلال الجزائر ،وبالضبط بعد إنهاء مدة التريث و صدور المرسوم الملكي سنة 1834 الذي جعل من الجزائر قطعة فرنسية [1] بعد مجيء اللجنة الأفريقية إلى الجزائر وقناعة البرلمان الفرنسي بسياسة التوسع و الاستيطان .

و إذا كان الاستعمار الفرنسي قد اهتم بأقاليم الشمال و بسط نفوذه على المناطق الساحلية و توسع بناحية المناطق التلية برغم المقاومة الشعبية في منطقة الوسط و بلاد القبائل بزعامة لالا فاطمة نسو مر والغرب بزعامة الأمير عبد

القادر و الشرق بزعامة الحاج أحمد باي .[2] فإن ذلك لم يشْف غليله من غريزة الهيمنة و التوسع .

و ظلت منطقة الصحراء خلال العهود الأولى من القرن التاسع عشر صعبة المنال بالنسبة للفرنسيين، و لكنها من اهتماماتهم ،وتجلى ذلك في سياسة نابليون الثالث إمبراطور فرنسا ،هذا الأخير الذي طلب من دوفيري" Duveyrier" الذي كان متواجدا بمنطقة غدامس [3] أن يزوده بمعلومات كافية حول إقليم الصحراء باعتباره من المهتمين بالمنطقة و هو بصدد تأليف كتاب عن المنطقة في عهد الرومان .[4]

و الظاهر أن الانشغالات الفرنسية بالصحراء الجزائرية لم تكن وليدة مرحلة البعثات الاستكشافية ،بل كانت سابقة لها ،و تمثل ذلك في المحاولات الفرنسية الأولى بغرض استمالة أعيان الصحراء، و التعرف الجيد على البنية الاجتماعية و الدينية و النفسية للصحراويين ،ففي سنة 1855 وجه الحاكم العام بالجزائر دعوة لأحد الأعيان و المدعو الشيخ عثمان الذي كانت له صلة بالعديد من القبائل الترقية، و كانت الدعوة و الوساطة عن طريق قائد منطقة ورقلة سي حمزة الذي زار الولاية العامة برفقة المترجم العسكري إسماعيل بوضربة .[5]

ولذلك لا غرابة أن نجد فيما بعد الشيخ عثمان يصبح هو دليل البعثات الفرنسية في الصحراء ، بل مد يد العون و المساعدة إلى دوفيري و خدمه بالمعلومات عن حياة التوارق، و من ثم فقد استدعته السلطة الفرنسية سنة 1862 لزيارة باريس و النزول في ضيافة نابليون الثالث جزاء له عن الخدمة التي قدمها لها في الصحراء .[6]

و كانت الإدارة الفرنسية تسعى دوما لربط مراكز تواجدها في شمال إفريقيا بباقي مستعمراتها في إفريقيا جنوب الصحراء ،و أصبحت تبحث عن مناطق نفوذ في الأقاليم المتاخمة للحدود الجزائرية ،و بالخصوص بعد احتلالها لمناطق في غرب إفريقيا و حتى تأمن لنفسها في مناطق الأراضي الجزائرية أبرمت معاهدة مع بريطانيا في 5 أوت من سنة 1890 تضمن أن تكون أراضي الجنوب مناطق نفوذ فرنسية .(7)

و لتحقيق ذلك فقد أقدمت فرنسا على القيام بالعديد من الرحلات الاستكشافية إلى المناطق الجنوبية منها رحلة فلاتيرس" Flatters "سنة 1879 و كان هدفها ربط الجزائر منطقة النيجر عبر المسالك الصحراوية، و البحث عن السبل للتوسع في إفريقيا جنوب الصحراء .و قد أوضحت القيادات الفرنسية في الكثير من المرات عن الأهمية الاستراتيجية التي تكتسبها الصحراء الجزائرية في إنجاح مشروعها التوسعي، و لم تنج منطقة الصحراء من سياسة التجزئة التي راهنت عليها فرنسا(8) ، و قد كشف عن ذلك الهدف فيما بعد الجنرال ديغول في مذكراته بقوله" :لقد كانت الجزائر تحتل في حياتنا القومية أهمية لا مجال للمقارنة بينها و بين بقية البلاد التي كانت تابعة لنا ، فقد سبق أن غزوناها بعد أحداث طويلة قائمة في عهد البرابرة ، و بفضل جهد عسكري ضخم بذل فيه كلا الخصمين كثيرا من الشجاعة تحمل كثيرا من الخسائر ، ثم تولينا بعد ذلك القضاء على عدة ثورات، و لذلك فقد غمرنا الفرح لأننا أصبحنا سادة أرض كلفتنا تضحيات كثيرة، و مع ذلك فقد تعزز موقعنا في إفريقيا و البحر المتوسط بفضل الجزائر، أقمنا فيها نقطة انطلاق لتسللنا إلى تونس و المغرب و الصحراء .." (9)

و المتتبع لاهتمامات الفرنسيين بالصحراء يجدهم يزدادون انشغالا بها مع تطور الأحداث، برغم بسط نفوذهم على مناطق الشمال ،و اتضح ذلك في حاجة فرنسا الماسة لموقع الصحراء كنقطة إستراتيجية تفتح لها الآفاق على العالم الإفريقي و حتى الأوروبي. و قد أشار إلى ذلك ديغول في إحدى خطبه خلال زيارته للجزائر من يوم 8 ديسمبر من سنة 1958 بقوله : " إن الصحراء هي أرض المستقبل و شريط بين عالمين ، عالم البحر المتوسط و عالم إفريقيا ،و بين عالم المحيط الأطلسي و عالم النيل و البحر الأحمر " (10)

2- الجانب العلمي الاستكشافي و الاقتصادي :

قد يخطأ الكثير حينما يظن أن الظاهرة الاستعمارية هي احتلال عسكري صرف، بل هو عبارة عن مشروع متعدد الجوانب ومختلف الوسائل و محدد الأهداف ،و من ثم تعد مراحل الغزو و التوسع و الاستيطان بمثابة مراحل متأخرة من تطبيق المشروع الاستعماري ،لأن عمليات التجسس والكشوف و الاستطلاع و الدراسة كلها مراحل هامة في مجرى إنجاح عملية الاحتلال، و تحقيق رهانات النجاح.و من أمثلة ذلك الخطوات و الإجراءات التي أقدم عليها الجاسوس الفرنسي "بيتان" و حليفه قائد الحملة الفرنسية دوبورمون في التحضير لغزو الجزائر.

ولذلك فإن نزول جيش الغزاة في ميناء سيدي فرج في جوان 1830 لم يكن وليد الصدفة ، بل خططت له فرنسا عبر قرون عديدة ،و لم تكن العفوية و لا قضية المروحة هي سبب بلايا الجزائريين ،بل هناك صراع بين ضفتي المتوسط أملته الحرب العقائدية و البعد المستقبلي لكل طرف، وظهر ذلك في العلاقات الفرنسية العثمانية منذ عهد السلطان العثماني" سليمان القانوني"

و ملك فرنسا "فرنسوا الأول "، ولكن ثمار هذه العلاقات قد ربحتها فرنسا مع بداية القرن 19 بعدما أصبحت الدولة العثمانية على فراش المـــوت و ضـــعفت سلطة الخلافة الإسلامية، و لم تتمكن من نصرة الولايات التابعة لها و من بينها دار السلطان بالجزائر أيام الداي حسين [11] آخر دايات الحكـــم العثمـــاني في الجزائر.

و إذا كانت فرنسا قد رصدت كل هذه الاهتمامات لمنطقة الشمال، و هي القريبة جغرافيا منها و المعروفة تاريخيا لديها ، فما بالك بمنطقة الجنوب البعيدة عنها في جوانبها المختلفة ،و لذلك فقد انصب انشغالها بالصحراء أكثـــر مـــن اهتمامها بالشمال ،و قامت بالعديد مـــن الدراســـات الطبـــوغرافيا و المناخية و الاجتماعية للمناطق التي وصلها المستكشفون، و بالتالي حتى تتعـــرف علـــى مسالك الصحراء و يسهل لها التوسع جنوبا و تعمل على تذليل الصعاب أمـــام المد التوسعي و فتح المعابر،و شق الطرقات ومد السكة الحديدية و فتح شـــهية الاستثمار في الزراعات الصحراوية و نحوها و التي تفتقر إليها فرنسا و الـــدول الأوروبية.

و كانت الرهانات الاقتصادية بادية على السياسة الفرنسية منـــذ الوهلـــة الأولى للاحتلال، و خصوصا بعد الهيمنة على المناطق التلية والمنـــاطق المتاخمـــة للصحراء ،و يتضح ذلك في تقرير المارشال "سول" في وقت مبكر من عمـــر لاحتلال إلى الملك الفرنسي "لويس فيليب" و قد أوضح فيه أهـــداف التوســـع جنوبا و النزوح نحو المنطقة الصحراوية بقوله : "إن الصحراء الجزائرية أو بعبارة أخرى كل المناطق الواقعة جنوب التل الجزائري يجب أن تشكل نوعا ثالثا مـــن المناطق الإدارية ، إذ لا يمكن توظيف الأوروبيين في هذه المناطق، و حتى الجيش

لا يدخلها إ لا بصعوبة متقاطعة إما لإقرار الأمن أو التهيئة للظروف التجارية التي ستفتح لنا طرقا هامة نحو إفريقيا السوداء .. " [12]

و لإنجاح المشروع الاقتصادي الفرنسي و استنزاف موارد الصحراء، أسست الإدارة الفرنسية العديد من الجمعيات و الشركات الاحتكارية و البنوك التجارية، منها جمعية التجارة لإفريقيا الغربية و البنك التجاري الإفريقي و بنك إفريقيا الغربية و الشركة الصناعية التجارية الإفريقية ،كما أنشأت أيضا الشركة الفلاحية و الصناعية لصحراء الجزائر و التي هيمنت على حوالي 24000 نخلة .[13]

هكذا إذا كانت نظرة فرنسا للصحراء الجزائرية نظرة مخزون اقتصادي و أمني و إستراتيجي يؤمن مستقبلها في القارة السمراء ، و لإنجاح ذلك المسعى اهتمت فرنسا بمشروع مد السكة الحديدية بين أقاليم الشمال و الجنوب و من ذلك ما قام به كاباني "Kapany" الذي اقترح سنة 1853 مد خط حديدي يربط الجزائر العاصمة ببوسعادة ويمر على رقلة و عين صالح حتى يصل إلى مدينة تامنراست، وتتفرع عنه خطوط ثانوية تربط مدينة طرابلس وتمتد حتى مدينة تونس .

و بعدها بسنوات قليلة و في سنة 1858 قام المهندس الفرنسي أد ولف دوبونشيل" Adolf Doponchil"بدراسة للسكة الحديدية العابرة للصحراء بهدف ربط المستعمرات الفرنسية و نقل القوات بين الشمال و الجنوب ، و هو نفس الاهتمام الذي أبداه الضابط بربو "Barbo "الذي أكد على أهمية مد خط حديدي يربط الجزائر بدولة السنغال و بلاد السودان . [14]

و الواقع أن محاولة الاحتفاظ بالصحراء الجزائرية فرنسية تجلت أكثر غداة الحرب العالمية الثانية ،خصوصا بعد بروز التيار الوطني الجزائري بالمنطقة ، ووضع مخططو الاستعمار الفرنسي برنامجا لإقامة قواعد عسكرية و اقتصادية في إفريقيا ،تحمي ظهر أوروبا الغربية من ناحية الجنوب ،كما تمثل في الوقت نفسه مكانا مضمونا تعتمد عليه أروبا لتهريب نفاياتها ،و نقل بعض صناعاتها الحربية و تطويرها، و جعلها قاعدة لصد أي هجوم مرتقب ضدها من المعسكر الشيوعي. وكل ذلك دفع بالإدارة الفرنسية إلى تأسيس المكتب الإفريقي للدراسات و الأشغال الصناعية العسكرية،الذي وضع مركزا هاما له أطلق عليه اسم مناطق التنظيم الصناعي الإفريقي، و شمل المناطق التالية :منطقة كولب بشار ومنطقة الكويف و جبل العنق بمنطقة تبسة ودولة مدغشقر وغينيا. (15)

3- استئصال المقاومة الشعبية و متابعة رجالاتها .

لقد عانى الاستعمار الفرنسي من ويلات المقاومة الشعبية في المناطق الشمالية و لم يتمكن من إخماد نيرانها إلا بصعوبة ،و كان يخشى أية حركة شعبية و خصوصا بعد نزوح العديد من قيادات الانتفاضات باتجاه مناطق الجنوب و المناطق المتاخمة للصحراء و البحث عن دعم آخر لتنظيم حركة الرفض.مثلما تجلى في مساندة الزوايا و رجال الطرق الدينية لحركة الجهاد المضادة للمد العسكري و التبشيري .(16)

و لعل من بين أهم هذه الثورات الشعبية التي قاومت سياسة التوسع الاستعمارية ثورة الزعاطشة سنة 1849 جنوب غرب مدينة بسكرة بزعامة الشيخ بوزيان وهو من المنتسبين واتباع الطريقة الرحمانية .(17) ويبدو أن دوافع هذه الانتفاضة تعود أساسا إلى رفع فرنسا قيمة الضرائب على بساتين النخيل

وقد استقبل بوزيان هذا الإجراء باستياء شديد و أخذ يشن عليه الدعاية الدينية و الوطنية ويحث سكان الواحة على العصيان ضد فرنسا ،وقد نجح في ذلك وانتفضت واحة الزعاطشة في 16جويلية 1849 وتوسعت الانتفاضة إلى مناطق عديدة منها الحضنة و الزيبان وحتى أطراف مترامية من الصحراء .

وقد استطاع بوزيان أن يضفي على الثورة الطابع الديني وأخذ بيده زمام الأمور.[18] بل استطاع أن يجند حوله العديد من رجال الدين بما فيهم المرابطون و المجاهدون من العديد من المناطق كمنطقة خنقة سيدي ناجي وأولاد جلال ومسعد ،ولعل من أشهر هؤلاء الثائرين الذين ناصروه نذكر منهم على سبيل المثال لا على سبيل الحسر عبد الحفيظ الحنفي من سيدي ناجي و الصادق بن الحاج من الأوراس ،و المختار الجيلالي من أولاد جلال ،ومحمد شبيرة و غيرهم من المجاهدين .[19]

و بالرغم أن الاستعمار الفرنسي قد تمكن من إطفاء لهيب المقاومة، وقتل زعيمها بوزيان مع ابنه برفقة الحاج موسى الدرقاوي بعد أن ذبحهم وعلق رؤوسهم أمام العامة لبث الذعر في نفوس الجزائريين، إلا أن الثورة استمرت عدة شهور أخرى .[20] وكادت أن تضعف من معنويات الفرنسيين لو لا قوة عددهم .

وخلال الخمسينيات من القرن التاسع عشر شهدت مناطق صحراوية عديدة ميلاد انتفاضات شعبية ، كالتي عرفتها منطقة ورقلة سنة 1851 بزعامة محمد عبد الله شريف ورقلة الذي تأثر إلى حد كبير بمبادئ وأفكار الشيخ محمد بن علي السنوسي الذي التقى معه في موسم الحج ،بل وأخذ عليه الشيء الكثير ورافقه خلال رحلة رجوع إلى طرابلس بليبيا ،و منها دخل الجزائر وطاب له

المقام في بلدته ورقلة، وأصبح من أعيانها بعد تزكيته من طرف شيخ الطريقة الشاذلية .[21]

ويذكر الدكتور سعد الله أن الشيخ محمد عبد الله كانت له سمعة دينية طيبة إذ استطاع أن يجلب إلى حركته الثورية الجهادية العديد من الطرق الصوفية أهمها الحركات السنوسية و الرحمانية وحتى الدرقاوية [22] وكون بذلك شبه ما يعرف بالحلف الوطني ضد الفرنسيين الطامعين في الصحراء .

وبرغم تمكن فرنسا من القبض على محمد بن عبد الله سنة 1861 وإبعاده إلى فرنسا فإن إطلاق سراحه جعله يشارك مجددا في ثورة أولاد سيدي الشيخ سنة 1864 ، وثورة المقراني و الحداد سنة 1871، واستقر به المقام داخل التراب التونسي حتى توفي بها سنة 1895.[23]

أما مدينة الأغواط فقد عرفت هي بدورها انتفاضة هامة بزعامة ابن ناصر بن شهرة أحد فرسان الأمير عبد القادر، وقد طال عمر هذه المقاومة إلى أكثر من أربع وعشرين سنة أي ما بين (1851-1875)، وكان ابن شهرة بن مريدي الطريقة القادرية ،وقد عارض تكوينه الديني التوسع الفرنسي في المنطقة ولذلك فقد اتصل بزعيم ثورة ورقلة السالف الذكر، واتفق معه على إعلان الجهاد ضد الفرنسيين الكفرة .

وقد وسع ابن شهرة من حركته الجهادية باتجاه الجنوب الغربي من تونس و عزز من اتصالاته بإخوانه في الجهاد أمثال بوطيبة بن عمران السوفي و محمد بوعلاق التونسي و كلهم من دعاة الجهاد ضد المحتلين الكفرة [24] كما متن بن شهرة علاقاته ووسع دائرة الجهادية و اتصل الشيخ محمد بن عزوز البرجي الجزائري مقدم الزاوية الرحمانية بالجريد التونسي .[25] و ذلك بهدف تأمين

حدوده الشرقية و بقاء مقاومته التي أثرت بالإيجاب مع المقاومات المعاصرة لها، و لذلك فقد دعم بن شهـــرة ثورة أولاد سيد الشـــيخ ســـنة 1869 و ثـــورة المقراني سنة 1871 ،كما استفادت ثورة بوعمامة سنة1881 هي الأخرى مـــن صدى ثورة بن شهرة التي ذاع صيتها في الصحراء .(26)

و خلال هذه الفترة المضطربة برزت قيادات أخرى رجع إليهـــا الفضـــل في استكمال المقاومة في الصحراء ،و من بين هذه الزعامات أمحمد التـــومي بـــن إبراهيم المدعو بوشوشة و المنتمي إلى الطريقة السنوسية(27) وأعلن ثورته هـــو الآخر سنة 1869و قاوم الفرنسيين و أمد يد العون لابن شهرة و محمد بن عبد الله ،و بذلك اتسع نطاق العمليات الجهادية ،و خلال وقت قصير جدا أصـــبح بوشوشة زعيما مقاوما ، بل و حاكم الصحراء واتسعت دائرة مقاومتـــه مـــن وسط الصحراء الجزائرية، من مـــدينة ورقلـــة إلى منـــطقة نفطة التونسية(28) و أصبح بوشوشة زعيما بدون منازع لتتوغل حركته إلى جنوب غرب مدينـــة عين صالح ،و تعد آخر محطة في مقاومته بعد أن تمكنت فرنسا من إلقاء القبض عليه سنة 1874و أعدم بعدها بسنة واحدة (29)

و برغم اتساع نطاق الانتفاضات الشعبية ،إلا أن الإدارة الاستعمارية كانت دوما بالمرصاد لها لما تملكه من العدة و العدد ،هذا فضلا علـــى تمكنـــها مـــن الحصول على العديد من المعطيات الكفيلة أمامها بفتح الطريق أمام جنـــدها في تخوم الصحراء و استمالة بعض المتواطئين من الجزائريين الذين زودوها بالســـبل الكفيلة لمعرفة خبايا الصحراء و نوعية تضاريسها و مناخها و طبيعـــة شـــعوبها وذلك ما سهل من مهمة الجيش الفرنسي الذي طوق المقاومة و قضـــى علـــى الحركات الجهادية في الأقاليم المختلفة من الصحراء .(30)

و مما سبق ذكره نجد أن دوافع التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية عديدة و مختلفة و مع مرور الزمن أضحت عملية ضم منطقة الصحراء للشمال ضرورية بالنسبة لفرنسا التي تأكدت مصالحها بها ،و قد أوضح ذلك وزير الحربية الفرنسي في رسالة له مؤرخة في فبراير من سنة 1901 بعث بها إلى أحد الضباط الفرنسيين بالجزائر يخبره فيها أنه حان الأوان لإفراغ الصحراء من سكانها، لتسهيل مهمة الاحتلال و الاستثمار.و قد أشار إلى ذلك بقوله: "إمكانية إقامة جماعة أروبية في الصحراء ،و نعمل على إفراغ الواحات من أهلها، و لا نترك إلا زعماء الأهالي إلى غاية الانتهاء من إنجاز السكة الحديدية الشيء الذي يسمح لنا باحتلال المنطقة في ظروف أقل تكلفة للميزانية لحل المشكل التكتيكي و التمويني ." (31)

ثانيا / مراحل التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري :

بعدما استكملت القوات الفرنسية عملية إجهاض الانتفاضة الشعبية في شمال الصحراء ،جاء دور تنفيذ واستكمال مشاريعها الكبرى من أجل تسهيل عملية التوغل في قلب الصحراء واحتواء سكانها ،و تحقيق مشروع الجزائر فرنسية الذي طالما حلمت به حكومة باريس مند 1834.

وقد سخرت لذلك لجنة حكومية على المستوى العالي ،وأرسلت على أثر توجيهاتها ثلاث بعثات استكشافية استعمارية لمعرفة قلب الصحراء ومن بين البعثات التي تم اعتمادها رسميا في ديسمبر 1879 البعثة التي كان على رأسها الضابط العسكري برتبة كولونيل و المدعو" فلاتيرس " وتضم عشرة أعضاء هم فلاترس " Flatters"عقيد المشاة و القائد الأعلى للأغواط وموسون "Mousson"نقيب أركان الحرب ،و برا نجر "pernger" مهندس الجسور

والطرقات وروش"roche"مهندس المناجم ،وبر نـــار" Bernard "النقيـــب في سلاح المدفعيـــة وغيـــا رد "guiard" الطبيـــب ولوشـــاتولييه"le chatelier" وبروسلار"Brosselard" ملازمي المشاة و كابايو " cabaillot " ورابـــودرن "Ra Bourdin" مسيري الجسور و الطرقات . [32] و قد خلصـــت هـــذه اللجنة إلى وضع مشروع يفتح منافذ جديدة للتوغل في قلب الصحراء، ويتمثل ذلك في مد خط سكة حديد يربط بين قسنطينة و ورقلـــة ومنـــه إلى أقصـــى الجنوب أين تقيم قبائل الطوارق .وانطلقت البعثة من ورقلة بتـــاريخ 21مـــاي 1880نحومنطقة وادي ميزاب، ونزلت في بلدة العاطف ،واتخـــذت مـــن وادي ميزاب دليل سيرها إلى أن وصلت إلى بني يزقن بغرداية التي قدمت لها الضـــيافة عن طريقة رئيس الجماعة الحاج يوسف .[33]

و إذا كان أهالي غرداية قد تعايشوا مع الفرنسيين الذين أمضـــوا معهـــم معاهدة الحماية سنة 1853 ، فهذا لا يعني من جهة أخرى أنهم قبلوا بالاحتلال وقد عبر عن ذلك الشيخ إبراهيم أطفيش (1914/1818) وهو من أعمدة وادي ميزاب و صرح أمام القيادة الفرنـــسية بقوله :الإسلام يسيطر و لا يسيطر عليه و ظلت هذه الكلمة مشهورة لدى بني يزقن ،كما عارض أطفيش سياسة فرنسا في المنطقة و اعتبر ذلك خرقا للاتفاقية المبرمة معها، و التي تنص علـــى عـــدم التدخل في شؤون ميزاب ،كما وجه أطـــفيش سنة1888 رسالة إلى الحـــاكم العام" تيرمان" أخبره فيها عن موقفه الرافض لسياسة الجنرال "بوازا" التعســـفية تجاه الأهالي .كما طالب أيـــضا بتـــخفيض الضرائب المفروضة على السكان، و التوقف عن مصادرة أراضي الميزابيين غير المشروعة .[34]

والظاهر أن رحلة فلاترس غلـــب علـــيها الطابع الاستكشافـــي العلمـــي و السلمي دون أن تكشف عن أبعادها الحقيقية ،إذ تجول أفراد البعثة في العديد من أحياء غرداية ،وسجلوا المعلومات الكافية عن المديـــنة و نمـــطها العمراني و الاجتماعي و الديني ، وفي 20 ماي أخلوا المدينة باتجاه بلدة بريان التي مكثوا بها إلى 30 من نفس الشهر ،ثم توجهوا نحو مدينة الأغواط التي و صلوها يوم 3 جوان. وكان في استقبالهم القائد الأعلى بالمنطقة بولا"pelin " [35]

وبعد أن جمع فلاترس المعلومات الكافية حول خفايا الصحراء رجـــع إلى باريس لوضع الترتيبات الجديدة مع مصلحة الطريق الصحراوي التي زودته بمـــا يحتاجه من الوسائل لمتابعة مهمته ،وفي سنة 1880اجتمعت البعثة في بســـكرة لتقييم الرحلة، وكانت متكونة من ضابطين برتبة نقيب وآخرين برتبة ملازم ثان و طبيب ومهندسين ومندوبين عن وزارة الأشغال .[36]

وكان فلاترس على رأس هذه الوفادة ،والظاهر أن هذه البعثة لم تأمن على نفسها من خطر الجزائريين، ولذلك فقد شكلت من أهالي المنطقة عـــون مـــن الذين لهم دراية كبيرة عن أحوال البلاد و العباد،و كانت الفرقة لحراسة البعثة، بعد أن اختارت معظم أفرادها من قبيلة الشعانبة الـــذين كانت علاقاتهم سيئة، و أحيانا متوترة مع جماعة الطوارق الذين عرفوا بالإقدام و الشجاعة إذ وصفهم الرحالة العربي بن حوقل بقوله :« فيهم البسالة و الجرأة و الفروسية على الإبل و الجري و الشدة "إلى أن يقول" بأن فيهم مـــن الجـــد و القـــوة مـــا لـــيس لغيرهم..."وبعد أن استكملت البعثة شروطها الأمنية ،اتجهت جنـــوب مدينـــة يتماسنين أين توجد زاوية سيدي موسى .ويقال أن فلاتيرس وجماعته حاولـــت الاتصال بادئ ذي بدء القائد الطوارق و المدعو أمنوكال أهيتاغـــل آق محمـــد

بسكة (أمين العقال) غير أن محاولة البعثة باءت بالفشل، ورجعت الحملة من حيث أتت أي إلى ورقلة بخيبة أمل ،ولم تحقق ما كانت ترجوه في شوطها الأول .

ويقال إن السياسة الفرنسية كانت مهتمة بالتوغل في أطراف الهقار برغم الفشل الذي منيت به البعثة الأولى ، فقد جدد فلاتير الرحلة و قام بمحاولة ثانية في ديسمبر 1880،و غادر ورقلة برفقة إحدى عشر فرنسيا و تسعة و أربعين جنديا من الأهالي و اثنين وثلاثين سائق بعير، و ثمانية من رجال الشعانبة وأربعة توارق.[37]

ووصل فلاتيرس و جماعته إلى منطقة أمقيد في 12جانفي 1881.[38] وبعدما تابع فلاتيرس رحلته إلى أن وصل إلى منطقة تماسينت التي استقر بها بين 12و13فيفري وتعامل بها مع العديد من التوارق .

وإذا كانت فرنسا قد صممت على التوسع ،فإن قائد التوارق أمنوكال كان على يقين بتحركات فلاتيرس ، ونصب له كمينا بعدما عزز جواسيسه وأرسل جماعة من فرسانه لإظهار النية الحسنة للتعاون مع البعثة الفرنسية، وتقديم لها الإرشادات الوفية ، لكن خطة أمنوكال كانت في حقيقتها تندرج في المراهنة على إنجاح الكمين الذي نصبه لها قرب بئر الغرامة بتاريخ 18فيفري 1881 أين نصبت خيام البعثة، وفوجئ فلاتيرس وجماعته وأتباعه بهجوم فرسان التوارق المدججين بالأسلحة .

أما فلاتيرس فقد بادر بإطلاق النار على التوارق، واشتبك الجمعان في معركة وطيسة بواد أفا ون قرب قرية تين تما رابين وأسفرت نهايتها عن مقتل 36 مسلحا من رجال البعثة بما فيهم قائدها برتبة عقيد [39] وفر من تبقى من

البعثة قاصدا ورقلة ،وكل ذلك عمق من فشل القادة الفرنسيين ولازمتهم خيبة الأمل طوال قربة العشرين عاما ، نتيجة حرب العصابات التي عرف بها سكان الصحراء .[40] وكانت هاجسا قويا في نفوس الفرنسيين خلال توغلهم باتجـــاه أعماق الصحراء .

و برغم ذلك فقد تابعت الإدارة الفرنسية اهتماماتها بالكشف عن الصحراء الجزائرية و حاول الملازم "مرسال بلات" Marcel Palat اكتشـــاف قصـــور تديكالت، لكنه قتل سنة 1886 بالقرب من عين صالح ،و خلال هذه الفتـــرة ازداد الاهتمام بالتعرف على مجرى نهر النيجر خصوصا بعـــد رحلـــة النقيـــب مونتاي "Manteil سنة 1890 من سان لويسي غربا إلى طرابلس شرقا ،إضافة إلى البعثتين الفرنسيتين المكونتين من توتيه Tuteé و هورســـت Heurst هـــذا إضافة إلى اكتشاف بحيرة تشاد من قبل بعثة فور لامي فورو Foureau ولامي Lamis التي انطلقت من ورقلة في أكتوبر 1898 لتقطع حوالي ألفين كيلـــومتر إلى تشاد.[41]

وهكذا وضع الفرنسيون صوب أعينهم احتلال الصحراء الجزائرية ففي 28 نوفمبر 1899 انطلقت بعثة فلامون "Flamand " من ورقلة صوب عين صـــالح بتوجيه من وزارة المعارف و المستعمرات، التي نسقت جهودها مع الحاكم العام في الجزائر إدوارد جوليان لافريار1898–1900" Edouard Julien la ferrière " بعد أن وفرت الإمكانيات المادية و المعنوية للبعثة ،و تمثل ذلك في مجهـــودات قائد المكتب العربي بور قلة بان "Pein" ومقدم الطريقـــة القادريـــة و الفرقـــة الصبايحية الصحراوية [42]

وكان العديد من رواد البعثات العلمية الاستكشافية الفرنسية يستعملون نفوذهم المادي والمعنوي و السياسي، و يستخدمون الجزائريين ليكونوا لهم أدلاء ومساعدين لتحقيق أغراضهم ،وقد اعترف دوفيرييه بالفضل الكبير للشيخ محمد العيد شيخ زاوية تماسين التجانية، و كذلك الشيخ عثمان الترقي ،كما اعترف أطارنو سنة 1824 بالفضل للشيخ محمد العروسي شيخ و مقدم زاوية قمار التيجانية في إنجاح مهمته في الهقار، وقال إنه لا يحتاج إلى برهان عن إخلاص الشيخ العروسي لفرنسا،وكان الشيخ العروسي قد استضاف الوفد الترقي المتوجه إلى الولاية العامة بالجزائر سنة1892 برئاسة عبد النبي حفيد الشيخ عثمان و مقدم التجانية في الازجر و قبيلة ايفوغاس .

كما أشاد موتيلاسنكي أيضا بدور الشيخ العروسي في تسهيل مهمته في وادي سوف والهقار و غدامس ما بين 1903-1905.(43)

وقد وصلت البعثة إلىضواحي عين صالح في ديسمبر ،و قد تفطن أهالي عين صالح لمكيدة البعثة،و استعدوا للمقاومة و في 28 من نفس الشهر هاجم الحاج المهدي باجودا البعثة على رأس قوة قدرت بحوالي 1300 مجاهد .(44)

وكانت المعركة غير متكافئة خاصة في العدة التي كانت لصالح الفرنسيين و استشهد باجودا و ضعف صف المجاهدين ،وتمكن النقيب "بان" المدعم بالفرقة الصبايحية بقيادة النقيب "جرمان" من إفشال مقاومة أهالي عين صالح .

و الظاهر أن سكان المنطقة لم يهضموا الهزيمة ،و جددوا المقاومة في منطقة الدغامشة يوم 5 جانفي 1900 ،لكن الحاكم العام لافريار أمر بإرسال

قوة جديدة من مدينة المنيعة بقيادة بومقرتان "Poumgarten " لتدعيم الجيش الفرنسي الذي وصل إلى القصر في 18جانفي من نفس السنة .

ثالثا / حملة الضابط كوتنيس و احتلال الهوقار :

مما لا شك فيه أن الإدارة الفرنسية قد وضعت في حسبانها جميع الاحتمالات التي سوف تنجر عن توسعها في أقاليم الصحراء ،و ذلك بعدما تمكنت من السيطرة على مناطق عديدة ما بين 1900و 1903 مثل تيدكلت وقورارة وإقليم توات ،كما عينت الإدارة الاستعمارية الضابط" لابرين "على رأس القيادة العسكرية التي استحدثت لحكم الجنوب سنة1902،وهي فترة الحاكم العام في الجزائر المدعو "جونار" الذي عرف بسياسة الاسترخاء .(45) ومحاولة تذليل الصعاب أمام نفر من الجزائريين خصوصا بعد بروز ملامح النهضة الجزائرية الحديثة .

وقد جعل القائد لابرين من منطقة عين صالح قاعدة لقيادته العسكرية،بل لم يكتف بذلك واستقدم الأب الروحي دوفوكو الذي كان متواجدا في بني عباس حتى يعاونه في استمالة السكان، ونشر المسيحية بينهم وإخضاع قبائل التوارق ،في نفس السياق كلفت الإدارة العسكرية الضابط كوتنيس للقيام بحملة تصب في مسعى الهيمنة على ما تبقى من أراضي الجنوب الجزائري .

و حسب ما ذكرته المصادر التاريخية فإن حملة كوتنيس توجهت من منطقة أمقيد باتجاه إدلس شمال شرق منطقة الهوقار ،و استعمل فيها الجيش الفرنسي سياسة الأرض المحروقة التي طبقها الجنرال بيجو في منطقة الشمال بعد الاحتلال مباشرة ،و كان هدف القائد كوتنيس هو إبادة كل كائن حي

يتعرض لطريقه بالمنطقة ،و إدخال الرعب في نفسية سكان الواحات و القبائل الرحل و تهجيرهم إلى خارج الحدود الجزائرية.

وتمكن كوتنيس من التوغل داخل الصحراء و استطاع الاستيلاء على منطقة تازروك و منها توجه صوب منطقة تين تارابين ،و هناك اصطدم بالمقاومة الترقية التي كانت تقودها قبيلة آيت لوين ،لكن عمر المقاومة لم يدم طويلا و تمكن الجيش الفرنسي من دحر المقاومة الترقية للاختلاف في العدة و العدد بين الطرفين .و هكذا توسعت الآفاق أمام الجيش الفرنسي ووسع من نفوذه ووصل إلى منطقة واي تيت، و ذلك خلال سنة 1902 ،لكن الجيش الفرنسي وجد صعوبة أمامه مرة أخرى بعد أن تصدى له فرسان التوارق في موقعة قارة تين آسا. (46) و قد أبدى سكان الهوقار مقاومة باسلة و استطاعوا قتل قائد الحملة الفرنسي كوتنيس ،إلا أنهم لم يتمكنوا من الصمود أمام الغزاة و منوا بهزيمة، و تمت السيطرة الفرنسية على إقليم الهوقار .

و الظاهر أن هزيمة التوارق تعود أساسا إلى ضعف في القيادة غير الموحدة لقبائل المنطقة ،كما أنها لم ترسم لنفسها خطا دفاعيا مرتقبا ، و بالخصوص بعد نهاية حكم القائد الأمنوكال أهيتاقل الذي وافته المنية سنة 1900 قبيل احتلال منطقة الهوقار. و كل ذلك سهل مهمة العيون الفرنسية التي اخترقت صف سكان الهوقار و استطاعت أن تستميل بعض الأعيان من المنطقة لتوظيفهم عند الحاجة ،و لعل ذلك ما فعلته مع خليفة الأمنوكال المدعو "موسى أق أمستان" الذي تولى قيادة التوارق، و الملاحظ أن القائد الجديد لم يصل في الحنكة السياسية لما وصلها سلفه، و من ثم ركن إلى أسلوب السلم و الهدنة و الحوار بدل فعل المقاومة ،و بعد أن اتفق مع الأعيان ،أمضى وثيقة الاستسلام مع

الفرنسيين سنة 1904 شريطة أن لا تتدخل فرنسا في القضايا الداخلية للتوارق و هي أشبه ما تكون بمعاهدة 5 جويلية 1830 التي أبرمت بين الداي حسين و قائد الحملة الفرنسية على الجزائر الكونت دوبورمون ،و كأن التاريخ يعيد نفسه دون أن يعتبر به الطرف الجزائري .

رابعا/ استقدام الأب دوفوكو و استقراره بالهوقار :

مما لا شك فيه أن مهمة الأب دوفوكوخلال تواجده في الجزائر هي استمرارية مشروع الكاردينال لا فيجري التبشيري الذي بدأه خلال منتصف القرن التاسع عشر بالجزائر،ولعل ما يوضح ذلك مضمون الرسالة الشهيرة التي بعث بها إلى رهبان الجزائر و التي يقول فيها : "إنني سميت لتحقيق الفتح معكم و لجعل الأرض الجزائرية مهدا لأمة عظيمة سخية مسيحية فرنسا أخرى ،و في كلمة واحدة : نشر من حولنا الأنوار الحقيقية يكون فيها الإنجيل المنبع و القانون ،و حمل هذه الأنوار إلى ما وراء الصحراء إلى قلب هذه القارة الكبرى السابحة في الوحشية ،ذلك هو المصير الذي اختاره لنا الإله .." (47)

و قد كان لتوقيع معاهدة الاستسلام أثرها الواضح على نشاط الفرنسيين و زادت من قناعة قائد المنطقة الصحراوية "لابرين " بضرورة الانتشار و التوسع في الإقليم ،وذلك ما دفعه سنة 1905 إلى توجيه الدعوة إلى زميله دوفوكو للاستقرار في الهوقار .و لعل السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان هو :لماذا طلب لابرين من الآب دوفوكو ترك منطقة بني عباس و السفر إلى الهوقار؟و ما هو سر قبول دوفوكو للدعوة ؟

يبدو أن العلاقة المسبقة التي كانت تجمع بين الشخصين خلال مرحلتي الزمالة و التمدرس لم تكن هي الوحيدة وراء هذا التقارب ، بل هناك أمور

أخرى أهم من ذلك و تتمثل في خدمة كل منها للظاهرة الاستعمارية و تمكين فرنسا ما وراء البحار،و نشر المسيحية .و إذا كان لابرين يعرف فنون القتال فإن زميله دوفوكو هو الآخر من خريجي كلية سان سير العسكرية، و عالم أنثروبولوجي يعرف فنون اللإستيلاب و التمسيح و المسخ ،وله من المعلومات الدقيقة حول البنية الدينية و الاجتماعية و الثقافية لسكان الصحراء ،و هو يحمل في نفسه شعلة متأججة من الإيمان الروحاني و الدنيوي ،بل وصفه أحد الباحثين بأنه كان يجد اللذة في المتاعب و التضحية بالراحة و متع الحياة خصوصا إذا علمنا و أن حياة الرجل كلها أسفار و متاعب ومخاطر ، إذ بدأها برحلة إلى المغرب الأقصى سنة 1883 و 1884 و خلال هذه الفترة استطاع أن يجمع معلومات كافية جعلت من رحلته هذه دليلا قيما و مرجعية أساسية أفاد بها قواد الجيش الفرنسي بعد نصف قرن من عمليات التهدئة التي كانت تقوم بها فرنسا في منطقة جنوب المغرب الأقصى تمهيدا لفرض حمايتها على المنطقة [48]

كما قام دوفوكو برحلة إلى الصحراء الجزائرية تحت غطاء الاستكشاف و نزل في ضيافة العديد من سكان الواحات ،و تعرف على قرب ووقف عند أسرار و خبايا المنطقة الصحراوية من جوانبها الطبيعية و البشرية ،و تعرف على العادات و التقاليد و الميول و الأفكار،و ربط صلته بسكان منطقة الأغواط ثم منطقة غرداية ،و منها توجه إلى مدينة المنيعة ثم ورقلة و توقرت .[49] و هي المدن الهامة التي كانت محط أنظار التوسع الفرنسي وقتئذ .

و يقال أن دوفوكو ظل يهتدي بمعالم الاستكشاف التي وضعها سلفه" دوفيري" الذي كان على اتصال به فيما يبدو خلال تواجده ببني عباس التي طاب له العيش فيها ،و قد نشر بها دعوته التبشيرية و الاستعمارية إلى أن

أقنعه زميله "لابرين "بتركها و التنقل إلى منطقة الهوقار و الدعوة بها للمد الاستعماري و تمكينه ،و التوسع باتجاه صوب دول إفريقيا الوسطى و الاستوائية بل و حتى نحو الأراضي الليبية التي كان دوفوكو دوما يراهن عليها بانتظام،ويقف على سير الأحداث بنفسه على التخوم الجزائرية الليبية و ذاك ما بين 1915 و 1916 لكي يطلع عليها صديقه لابرين ،ففي خلال سنتين أرسل دوفوكو إلى صديقه حوالي 41 رسالة يخبره فيها بأحداث الصحراء .(50)

هكذا إذن نجد أن رحلة المتاعب التي عرف بها هذا الأب هي التي زكته إلى ريادة الزعامة الدينية وقتئذ ،هذه الزعامة تعد الحلقة المفقودة التي كان يبحث عنها الرجل ، ولكنها زعامة التنظير لا زعامة الهدير .إذ أنه مند دخوله الهقار سنة 1905 بدأ في بناء كنيسة بمنطقة الإسكرم شمال تامنراست، وهي تقع على ارتفاع 2700م على مستوى سطح البحر وجعلها نواة لنشر مبادئه المسيحية .

والظاهر أن دوفوكو لم يجد الصعوبات القاسية التي كانت منتظرة في تعامله واندماجه مع الهقارين ،عكس ما اصطدم به القادة العسكريون .و لعل من بين العوامل التي سهلت مهلة هذا المبشر الخطير هو تكوينه العسكري الذي أهله للعمل في قضايا الاستخبارات العسكرية أولا ، ثم نشأته التبشيرية ثانيا .بعد معرفته للجوانب العديدة التي تخص الطبيعة الصحراوية، و بالخصوص دراسته اللهجات المحلية و معاشرته نمط عادات و تقاليد سكان الهقار عن قرب ، بل إنه قلدهم في لباسهم وأكلهم وحتى في سمرهم ، واستطاع أن ينجز قاموسا في أربعة مجلدات في اللهجات الترقية .(51)

كما أن دوفوكو استغل في عمله التبشيري التمركز بين فصائل القبائل الترقية، و كسب الأطفال وتحبيب في نفوسهم مبادئ المسيحية، واستغل في

ذلك سذاجتهم وبراءتهم ،وكان يقدم لهم بعض الهدايا و الحلوى ، ومن خلال هذه المرحلة كان يتوغل تدريجيا في الوسط الترقي، ويتـــقرب أكثر من الأعيان و الوجهاء ، وقد كتب دوفوكو حـــول طريـــقة عمـــــله في التبـــــشير إذ يقول :« كنت أحاول أثناء جولاتي دائما أن أقترب من المخيمات الســـكانية وإن أدخل في علاقة مع الأطفال الصغار ، وذلك بأن أقدم لهم السكر، لكنني لم أسجل نجاحا في هذا المسعى ،فقد كان مر آي عندهم أشـــبه شـــيء بمـــرآي الشيطان نفسه ،حيث كانوا يطلقون ســـيقانهم هـــاربين قبـــل أن يختفـــوا في الخيمة.قد يبدو من الغريب أن ألح على موقف أطفال صغار لا تتجاوز أعمارهم ما بين الخامسة و الثانية عشر، لكن يمكننا بواسطة الأطفال أن ندخل إلى نفوس الآباء و نهدئ من روعهم، إنها لفرصة لتقريب المترددين منا و فرصة للدخول في اتصال مع المتطرفين الذين يبغضوننا .."[52]

و مما لا شك فيه أن دوفوكو قد وجد صعوبة كبيرة في استقطاب التـــوارق إلى دائرته التبشيرية ،و لذلك نجده يعترف بذلك الفشل لكنه لم ييأس من عمله المضني، و قد أشار إلى ذلك بقوله : "إنه لمن الصعب على رئـــيس سياســـي أو ضابط أن يخطو الخطوة الأولى نحو الأهالي الساخطين و الذين يلازمون موقـــف العزلة ،و لا يبدون سوى مظاهر اللياقة ،و على العكس من ذلك فإنـــه لمـــن المسلي و مما لا يحيط من قطرنا أو نحاول بث الثقة فـــينا في نفـــوس الأطفال و نوجه إليهم أسئلة و تقدم إليهم هدايا بسيطة ، ولما تتحطم الحواجز التي تفصل بيننا و بين الأهالي .." [53]

و كان دوفوكو يراهن في عمله على الناشئة ، بحيث أنه يجعل منها الـــذرع الواقي و الصامد و المدافع عن المصلحة الفرنسية ،و ذلك بعدما يلقنها الديانـــة

المسيحية و التربية وفق المنظومة الاستعمارية ،أي بمعنى يكوّن جيلا جديدا أقل ما يقال عنه أنه ميال لكل ما هو فرنسي ،كم أوضح دوفوكو ذلك بقوله : "الطفل هو المستقبل و القرية التي يحبو فيها الأطفال الضباط و يعتبرونهم آباء يدللونهم ،تشعر بسعادة عندما يخيم الجيش في أرضها ، و بعد عشرة سنوات سيكبر أطفال القبيلة و ينمو معهم الولاء لأفكارنا .." [54] هكذا إذا اعتمد الآب دوفوكو على التنشئة الاجتماعية في إنجاح مشروعه التبشيري .

خامسا / ثورة الهوقار1916 و نتائجها :

خلال الحرب العالمية الأولى تمكن السنويون من طرد الإيطاليين من إقليم فزان الليبي المجاور للصحراء الجزائرية و بلاد تواجد التوارق ، و كان لهذا الانتصار نشوته لدى الهوقاريين الذين تعاونوا مع الحركة الجهادية السنوسية لمقاومة الاستعمار الفرنسي بالمنطقة، و بانتهاء سنة 1915 و بداية سنة 1916 اتسع نطاق الحركات التمردية في منطقة آزقر موطن التوارق الشماليين، و ذلك على غرار ما عرفته منطقة فزان و طرابلس بليبيا من حركات تحريرية مماثلة ،و قد آلت هذه النشاطات الرافضة للوجود الاستعماري إلى تكوين شبه تنظيم عسكري، أو محلة عسكرية دعا إليها الشيخ أحمد سلطان الجانتي، و الشيخ عبد السلام الشرداق، و السي العابد السنوسي حفيد و خليفة شيخ الطريقة السنوسية بفزان ،و جعلت هذه الجماعة من إقليم الغات بالقرب من الحدود الجزائرية مقرا للتشاور و التحضير و مباغتة العدو .كما قامت هذه الجماعة بعملية التسليح ،و توزيع ما جمعته من الأسلحة الحديثة على أثر مطاردتها للإيطاليين ، كما أنه لا يمكن أن نستثني هنا جل المعونات التي

قدمها الباب العالي للمجاهدين بإيعاز من السلطان العثماني وقتئـــذ ،و ذلـــك لخدمة الخلافة الإسلامية و محاربة الكفار في العالم الإسلامي مشرقه و مغربه .

و حسب ما تشير إليه التقارير السرية الفرنسية فإن الإدارة لم تكن غافلة عن النشاط الوحدوي الذي أراد به أصحابه خدمة الجامعة الإسلامية ،و قد اتضـــح ذلك الاهتمام الفرنسي بضرورة إحباط كل محاولة وحدوية مـــن خـــلال مـــا تضمنته مراسلة الحاكم العام في الجزائر إلى مدير الشؤون الأهلية و المؤرخـــة في 25 أبريل 1921 و مما جاء في الرسالة قوله : "إن هناك علاقات وطيـــدة بـــين الوطنيين المسلمين الجزائريين و التونسيين ،و أن هناك حركة ميزابيـــة بزعامـــة محمد بن باكير مدير جريدة الصديق ،و كذلك مامي إسماعيل بن علاوة الـــذي تخرج من جامع الزيتونة و محرر في الجريدة ،و استطاعوا أن يكســـبوا جمـــاهير عديدة في العالم الإسلامي ،و خاصة مع السنوسي و سليمان الباروني بطرابلس و كذلك مع حركة الشباب التونسي .[55]

و لعل من بين العوامل المساعدة أيضا على انتفاضة التـــوارق صـــدور قانون التجنيد الإجباري سنة 1912 ،و الذي عمق من ردود الفعل الجزائريـــة وقتئذ ،بل ظهرت هناك العديد من الانتفاضات المعارضة للقـــانون ، كثـــورة الأوراس سنة 1916 التي تركت بصماتها على الحياة النفسية للجزائـــريين .[56] وخرج صداها إلى خارج الأوراس بل وصل إلى منطقة الصحراء . و كل ذلك زاد من قناعة الهوقاريين في مواجهة الاستعمار.

و في 24 مارس من سنة 1916 باغت فرسانهم الحمية الفرنسية المرابطة في منطقة جانت والتي كان يقودها الضابط "لوران لابيير" هذا في الوقت الذي كان فيه توارق آزقر الشماليين يخوضون معارك ضد الفرنسيين ،و من ثم وصل

صدى المقاومة الترقية إلى جميع أنحاء منطقة الهوقار ،رغم الهدنة التي أبرمتها سلفا فرنسا مع الزعيم الترقي الجديد موسى آق أمستان [57] و ذلك بغـــرض ربـــح الوقت و التحضير الجيد لعملية التوسع و الاحتلال، و تذكر المصادر التاريخيـــة أن السي العابد السنوسي كان دوما يحرض على عملية الجهاد ضد الفرنســـيين، و لذلك فقد أوكل لضابطه "كاوسن " بتنظيم المقاومة و الإشراف عليهـــا في إقليم الإيير جنوب الهوقار ،و كان غرضه توحيد أجنحة المقاومة الترقية بمنطقـــة الصحراء انطلاقا من ألآزقر إلى الإيير مرورا بالهوقار ،و لتحقيق هـــذا الهـــدف بعث القائد كاوسن بمراسلة إلى الزعيم الترقي موسى آق آمستان ،يطلب فيهـــا منه الانضمام إلى المقاومة الشعبية، و بناء حلف دفاعي أمني و التخلي عن ولائه للفرنسيين و ترجيح المصلحة الوطنية على المصلحة الذاتية .[58]

و الظاهر أن موسى آق آمستان رفض طلب السنوسي ،وتمادى في ولائـــه للفرنسيين وكل ذلك دفع بالضابط كاوسن إلى البحث عـــن وســـيلة لبـــث الشكوك لدى الفرنسيين اتجاه حليفهم أمســـتان ،وخـــــطط لقـــــتل الأب دوفوكو .[59] الزعيم الروحي وقتئذ، ولما كانت له من المكانة لـــدى الدولـــة الفرنسية لأنها كانت تعول عليه في بسط نفوذها في الهقار .

وقد أسند كاوسن مهمة الاغتيال إلى بعض من رجاله ممـــن يثـــق فـــيهم ، وكلف أباه كرزو لقيادة كوكبة من المجاهدين ، وتوجهوا صوب قلعة دوفوكو بتمنراست واستعانوا في خطتهم بصاحب بريده الذي سهل لهم المهمة ، بعد أن فتح لهم الباب ، ومكنهم من اغتياله في ديره في 1 ديسمبر 1916 بعيارات نارية و غنموا ما عنده من سلاح .

ومن دون شك ، فإن مقتل الأب دوفوكو قد ترك الأثر العميق في نفوس رجال السياسة الفرنسية ، واتضح ذلك جليا في نفسية القائد العسكري لابرين الذي أرسل تعليمة بتاريخ 16 أبريل 1917 إلى القيادة العسكرية بتمنراست، على إثر سماعه باغتيال زميله دوفوكو و مما جاء في تعليماته قوله :"أما بخصوص مقتل الأب دوفوكو فإن العقوبة يجب أن تمتد لا إلى الجماعة التي أقبلت إلى تمنراست فقط (يقصد الذين اغتالوا دوفوكو) و لكن إلى المنجرين و المتواطئين يجب الوصول دون مراعاة للزمن إلى وضع القائمة الكاملة للمسؤولين على هذه الجريمة و محو أسماء الذين سوف يقتلون الواحد تلو الآخر .(60)

و إذا كان اغتيال الأب دوفوكو قد أوقع الحسرة في نفوس الفرنسيين و بعض أذنابهم من المتواطئين الجزائريين، فإن ذلك كان بردا و سلاما على الحركة الجهادية التي تزعمها سكان الهقار ،بل لقد ترك خبر الاغتيال العديد من العائلات و القبائل تخرج عن طاعة موسى أق أمستان، و لعل من بين هذه القبائل قبيلة أنابا و سوغى أق شيخات صهره ،و المودن ولد أكلسو،و أحمد ولد الشريف و غيرهم من الأسماء ذات الصيت وسط القبائل الترقية .

كما نجد أن هؤلاء الذين انسحبوا من حلف أمستان العميل مع فرنسا حاولوا من جهة أخرى عزله عن قيادة التوارق بالتعاون مع كاوس وشنوا هجوما عليه في حصنه بتغهو هاوت البعيدة عن العاصمة الهوقار بـ 50كلم جنوبا،و نتج عن ذلك وقوع مشادات عنيفة أهمها معركة إلمان بتاريخ 5 أبريل 1917، و قد أسفرت عن انتصار المجاهدين و قتل ما يربو عن 13 صبايحيا من بينهم فرنسيون،و كذلك معركة أنكر شمال مدينة تمنراست في 1 جوان 1917

أين باغت المجاهدون فيها محمية أو قافلة فرنسية و قتل مـــــن بينها 5 أشخاص و جرح البعض الآخر .(61)

و هكذا لم تتوقف ردود فـــــعل ســكان الهـــوقار مـــن التواجـــد الفرنسي و استمرت على شكل حرب العصابات ضد القوافل التموين الفرنسية بالمنطقة إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ،و حينها أخذت المقاومة تضعف تدريجيا ، بعدما استطاعت فرنسا أن تضمن لنفسها في شمال الوطن مرحلة التهدئـــة و فتح المجال للعمل السياسي الذي أخذ به الجزائريون ،و بذلك ركزت أكثر من أي وقت مضى على طروحاتها العسكرية في الجنوب و خصوصا بعد القضـــاء على المعارضة الترقية.

ولعل من العوامل الأخرى التي كانت سببا في إفشال المقاومـــة الجهاديـــة بالمنطقة توقف الدعم العثماني الألماني للعثمانيين خصوصا بعد بوادر أفق رســـم الخريطة العالمية الجديدة التي أفرزها مؤتمر الصلح 1919 و تمكين فرنســـا مـــن جديد و تكسير شوكة الألمان و حلفائه من معالم الخريطة المسطرة .

كما أن للحركة السنوسية و ما أصابها من انشقاق بين مناصر العثمـــانيين و الألمان و مؤيد للإنجليز أثره في تعميق هوة الفراغ ،بل في إضعاف المقاومة في الصحراء و كل ذلك جعل من الضابط كاوسن يتراجع نحو الأراضي الليبيـــة بعد انسحابه من منطقة الآيير و تفرق عنه أنصاره ووقـــع في قبضـــة الجنـــاح المعارض من السنوسيين و أعدم في ليبيا سنة 1919.(62)

هذا و قد تركت ردود فعل سكان الهقار 1916 نتائج هامة يمكن إدراجهـــا في النقاط التالية :

1/إضفاء الطابع الوطني على انتفاضة التوارق و تلاحم القبائل مع بعضها البعض لمقاومة التوسع الفرنسي الهادف لاستكمال احتلال الجزائر شمالا و جنوبا.
2/ تعميق التلاحم الوطني في إقليم الجنوب الكبير و التصدي لمشروع التقطيع الإقليمي الذي راهنت عليه الإدارة الاستعمارية.
3/ الرفض القاطع لسياسة الإلحاق الثقافي و الديني الذي راهن عليه دوفوكو بعد استقراره في تمنراست ، و قد لقي جزاءه بالاغتيال الشنيع.
4/ تعلق الجنوب الكبير بمبادئ الجامعة الإسلامية وتعاون الطوارق مع الحركة السنوسية التي رفضت الهيمنة الاستعمارية سواء في الأراضي الليبية أو الجزائرية .
5/ تثبيت التوارق للحدود الجزائرية عبر الجنوب الكبير وتمسكهم بأرضهم واستقرارهم بها ، وكل ذلك ساعد فيما بعد على ترسيم الحدود الإقليمية مع البلدان المجاورة .

وخلاصة القول فإن منطقة الهوقار برغم بعديها الجغرافي و الزمني عن مجريات الأحداث التي شهدها الشمال الجزائري مند الاحتلال إلى بداية القرن العشرين فإن سكان المنطقة لم يكونوا بمعزل عن تلك الأحداث ، بل كانوا طرفا في العديد منها خاصة التي جرت في المناطق الصحراوية . وكل ذلك هيأ الهوقاريين بالتعاون مع حركة الجهاد الإسلامي الذي قادته الحركة السنوسية للإعلان عن ثورة 1916 ضد الفرنسيين .

كما أن منطقة الهوقار قد عاصرت بداية التحولات التي عرفتها الجزائر منذ بداية القرن ، ولو أن الهوقاريين قد خسروا المعركة ضد الغزاة لاختلاف القوى يبين الطرفين لكنهم من جهة أخرى لم يخسروا الحرب ، وكشفوا عن تماسكهم عبر أقاليم الجنوب الكبير زمن المحن رغم بعض التخاذل الذي أبداه بعض

الوجهاء في تعاملهم مع الفرنسيين، وهناك ملاحظة أخرى تتضح في عملية التأثير و التأثر للصحراويين تعدت الحدود الإقليمية للجزائر ، إلى الأقاليم الليبية وحتى إلى الصحراء الشمالية للنيجر ، رغم قساوة الظروف الطبيعية و ضعف إمكانيات التعاون مقارنة بما كان متوفر لدى الفرنسيين وقتئذ

و الظاهر أنه لو لا المستجدات الدولية التي أفرزتها الحرب العالمية الأولى و التي انعكست سلبا على إضعاف الدعم المادي و المعنوي للمقاومة في الهوقار وبالخصوص بعد إحباط عزيمة الألمان بعد معاهدة فرساي سنة 1919 وانكماش الخلافة العثمانية بعد معاهدة سيفر سنة 1920 ،كل ذلك أفشل القواسم المشتركة للحركة الجهادية وكسر فلول المقاومة السنوسية بعد تعزيز الإمدادات العسكرية الفرنسية من وسط الصحراء و شمالها ،وبرغم ذلك كله ، فإن شعب الهوقار لم يركع للفرنسيين، كما كانوا يعتقدون في ذلك ، بل سجلت مقاومته صفحات مشرقة في سجل التاريخ الجزائري المعاصر .

الإحالات المعتمد عليها

(1)- أبو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال ، ط 2 ، (الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1982) ص 35

(2) سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية 1900/1830 ، ج 1 ، ط 1 ، (دار الغرب الإسلامي 1992) ص 138.

(3) منطقة غدامس إحدى الواحات الصحراوية المتواجدة على الحدود الجزائرية الليبية لعبت دورا هاما في المجال الثقافي و التجاري خلال العصر الإسلامي و العصر الحديث .

(4) إسماعيل العربي ، تاريخ الرحلة و الاستكشاف في البر و البحر ،(المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986) ص311 .

(5) Henri Lhote Le Hoggar espace et temps , Collection Civilisation, Paris 1984, P 92 .

(6) Henri , OP , cit. , P 93

(7) إبراهيم مياسي ، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1912/1881 ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد 1996 ، ص 77 .

(8) اتضحت سياسة التجزئة و التقسيم في مشروع هرسان الذي اقترحته كتلة النواب في البرلمان الفرنسي يوم 1957/02/28 و الذي ينص على تأسيس مقاطعة فرنسية تحتوي على الجزائر العاصمة و وهران أما قسنطينة و تلمسان فلكل منهما الحكم الذاتي ، أما الصحراء فتكون إقليما مستقلا عن الشمال .و عملت الإدارة الفرنسية على تأسيس عماليتي الساورة و الواحات في الجنوب الجزائري.بمرسوم 7 أوت 1957 كما أصدرت مرسوما وزاريا خاصا بالصحراء بتاريخ 30 نوفمبر 1957 يتضمن إلحاق الصحراء مباشرة بفرنسا . للمزيد انظر ،بن يوسف بن خدة ، اتفاقيات إفيان ، (ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1987 ص 41 .

(9) الجنرال ديغول ، مذكرات الأمل ،1962/1958 ، ج 4 ، ترجمة سموحي ، ط 1 ، (طلاس للدراسات و الترجمة و النشر دمشق 1984) ص 56 .

(10) ديغول ، نفس المصدر ، ص 49 .

(11) الداي حسين هو آخر دايات الحكم العثماني في الجزائر و في عهده تم احتلال فرنسا للجزائر عرفت فترته اضطرابات كثيرة ،كتب حوله الكثير، و لكنه لا يزال شخصية مبهمة عند العديد من المهتمين

بالوجود العثماني في الجزائر.وللمزيد انظر :أحمد توفيق المدني ، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر (الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1974) ص 141 .

(12) عبد الله شريط ، مختصر تاريخ الجزائر (المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985) ص 262 .

(13) الأستاذ الصادق دهاش ، الدوافع الحقيقية للاحتلال الفرنسي للصحراء ،مداخلة في الملتقى الوطني حول فصل الصحراء ، و رقلة في 24 /1997/12 .

(14) يحي بوعزيز ، طرق القوافل و الأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما أوجدها الأوروبيون خلال القرن 19 ، مجلة الثقافة ، عدد 59 ،عام 1980 ، ص 15 .

(15) محمد الميلي ، المغرب العربي بين حسابات الدول و مطامح الشعوب ، ط1 ،(دار الكلمة للنشر بيروت 1981) ص67 .

(16) لقد ربط أحد الباحثين التونسيين حركة الاستعمار الفرنسي بالجزائر بالتبشير و اعتبر أن هدفهما واحد و كتب يقول : "قد اتسمت علاقات حركات التبشير بالنظام الاستعماري في بلاد المغرب العربي بطابع التعاون الوطيد ،و رأت في احتلال الجزائر عسكريا فتحا مبينا مسيحيا و بداية إعادة أمجاد الماضي و تحقيق الحلم القديم حلم إفريقيا المسيحية ، و من الأعمال التي قامت بها الكنيسة بعد انتصارها تحت حماية الجيش الفرنسي فوق أرض الجزائر العربية المسلمة محاولة كتابة تاريخ الكنيسة الإفريقية و العودة إلى العهدين الروماني و البيزنطي لتعطي لرسالتها التبشيرية الجديدة اسما تاريخيا تعود إلى قرون بعيدة و ترى الفتح الإسلامي و انتشار الإسلام في أرض المغرب العربي غلطة لا تغتفر جعلت الدور التبشيري الجديد تفصله عن الكنيسة الرومانية قرون طويلة من الصعب طمسها بسهولة .."للمزيد انظر : الحبيب الجنحاني حركة التبشير و السياسة الاستعمارية في المغرب العربي في القرن 19 ، مجلة الأصالة ، عدد 16 ، سبتمبر أكتوبر1973 ، ص 27 .

(17) سعد الله ، الحركة الوطنية ،ج 1 ، ص397 .

(18) Charles Robert, Ageron , Histoire de L'Algérie contemporaine, Paris 1964 p384.

(19) سعد الله ، الحركة الوطنية ، ج 1 ، ص 350 .

(20) منصف يونس ، دور الطرق الصوفية في مقاومة الاحتلال الفرنسي للجزائر ما بين 1830و1871 ،رسالة لنيل ما بعد التدرج المتخصص في التاريخ ،بإشراف أحمد مريوش بالمدرسة العليا للأساتذة في الآداب و العلوم الإنسانية بوزريعة .

(21) سعد الله ، الحركة الوطنية ، ج 1 ، ص 371 .

(22) سعد الله ، نفس المرجع ، ص 373 .

(23) يحيى بوعزيز ، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين ، ط 1 ، (دار البعث قسنطينة 1980) ص 128 .

(24) عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج 4 ، ط 4 ، (دار الثقافة بيروت 1980 ،) ص 328 .

(25) لقد انتشرت الطريقة الرحمانية على يده في المناطق الجنوبية من الصحراء ،وواصل أحفاده نشر مبادئها خارج الجزائر ،إذ يذكر الشيخ الحفناوي أنه قلما يوجد في القطر الجزائري الشرقي و التونسي و طرابلس الغرب و بن غازي من ليس منتسبا لطريقته بواسطة أو وسائط ،و كانت الرحمانية تسمى أيضا بالطريقة العزوزية .و قد أقلق ذلك السلطة الفرنسية و عززت من عيونها للحد من نشاط المكي بن عزوز المقيم في تونس و بعض بقايا عائلته الذين مكثوا في الجزائر و خاصة منهم من كان مقيما في قسنطينة إذ كانت له اتصالات مع علماء تونس، و اتضح ذلك في مراسلة الحاكم العام في الجزائر إلى المقيم العام في تونس و المؤرخة في 31 جانفي 1908 .انظر :أرشيف ما وراء البحار بآكس آن بروفانس رقم 3H16

(26) بوعزيز ، ثورات ، ص 180 .

(27) يونسي ، دور الطرق الصوفية ، 44 .

(28) عبد الجليل التميمي ، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي ،1871/1816 ، ط 1 ، (الدار التونسية للنشر تونس 1972) ص 113 .

(29) بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 191 .

(30)يحيى بوعزيز ، اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر و الصحراء ، مجلة الثقافة ، العدد 57 ، وزارة الثقافة الجزائر 1980 ، ص 18 .

(31) Pierre Denis , L Armée Française au Sahara , Paris 1992 ,P 78

(32) latters ,Les deux missions du colonel Flatters en Afrique ,Paris 1884 ,P 1.

(33) مياسي إبراهيم ،محاضرة حول فصل الصحراء بملتقى ورقلة ما بين 22و 23 ديسمبر 1997 .

(34) Pierre Guperly, Mohammed Atfayyas et Sa Risaala , In . Ibla, No 130 ; Anneé 1972 , P45.

وكذلك : أرشيف ما وراء البحار بآكس آن بروفانس بفرنسا وقم : 15H 22

(35). Flatters ,Les deux missions ,P 181 .

(36) إسماعيل العربي ، الصحراء الكبرى و شواطؤها ، ط 1 ، (المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1983) ص 103 .

(37) Grammont ,Le colonel Flatters ,Revue Africaine No 26 ;1882 ;P 78 .

(38) بوعزيز ، اهتمامات الفرنسيين ،ص 23 .

(39) Djilali Sari , Insurrection de 1881/1882 S.N.E.D, Alger, 1981 p 50

و كذلك : بن بلال محمد ، صور من المقاومة الشعبية في أقصى الجنوب ، مجلة الجيش ، عدد 407 الموافق ل:جوان 1997 ص 21 .

(40) محمد بجاوي ، الثورة الجزائرية و القانون ، ترجمة علي الخش ط 1 (دار اليقظة العربية ، دمشق 1965) ص 63.

(41) Louis Moulleseaux et Pierre Boyer , Histoire de L'Algérie , Paris 1962 , P359 .

(42) مياسي ، المرجع السابق .

(43) سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء السادس ، ط1 ، (دار الغرب الإسلامي بيروت 1998) ص 102 .

(44) مقابلة مع الشيخ ابن الدين عبد الرحمان همول بعين صالح، بتاريخ 24 ديسمبر 1997 .

(45) سعد الله تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1900 - 1930 ، ج 2 ، ط 2 ، (الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1983) ص 294 .

(46) منطقة تقع غرب مدينة تمنراست على بعد 50 كلم .

(47) الجنحاني ، حركة التبشير ، ص 30 .

(48) Michel Mourre , Dictionnaire Encyclopédique d' Histoire C , D , Bordas, Paris 1978 ,P405 .

(49) لاتزال مدينة المنيعة إحدى دوائر غرداية تحتفظ بمتحف هام يحتوي على العديد من المخطوطات و بقايا الآثار الهامة ، و الغريب في الأمر أن المتحف لايزال تحت تصرف الكنيسة إلى وقتنا هذا و أن المسؤول عليه أحد الفرنسيين المستشرقين وله دراية كافية حول منطقة الصحراء، و يملك وثائق هامة حول نشاط دوفوكو بالمنطقة ، و قد حاولت شخصيا في شتاء 1997 الاستفادة من المتحف لكن المشرف عليه لم يسهل المهمة .

(50) علي مراد ، شارل ديفوكو في نظر الإسلام ، ترجمة علي مقلد ، (المنشورات العربية 1980) ص 93 .

(51) وظف الأستاذ حباسي في دراسة له مصطلح اللغة الترقية بدلا من اللهجة الترقية ، ونحن نتساءل عن فحوى مكونات هذه اللغة التي أسماها في اصطلاحه ، وللمزيد أنظر : شاوش حباسي ، من مظاهر الروح الصليبية في الاستعمار الفرنسي بالجزائر 1830-1962 ، مجلة الدراسات التاريخية ، عدد 10 ، جامعة الجزائر 1997 ، ص 99 .

(52) إسماعيل العربي ، الصحراء الكبرى ، ص 14 .

(53) إسماعيل العربي ، نفس المرجع .

(54) إسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص14 .

(55) أرشيف ما وراء البحار ، آكس آن بروفانس : رقم 16 5 H .

(56) Henri Alleg ,La Guerre D'Algérie Ed. Messidor , Paris, 1981, P164 . (57) عبد الحميد زوزو ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900 (المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984) ص 143 .

(58) يحي بو عزيز ، انتفاضة الطوارق بآجر و الهوقار 1916-1919 ، مجلة الثقافة ، عدد 93 الجزائر 1986 ، ص 179 .

(59) حباسي ، من مظاهر الروح الصليبية ، ص 99.

(60) Claude Blanguernon , Le Hoggar 1 Ed . Arthned , Paris 1955 P 40

(61) حسب رواية الشيخ دنقير بمنطقة تمنراست بتاريخ 16 مارس 1994.

(62) نفس المرجع السابق .